

أثر الاغتراب والعقدة النفسية في شعر الشنفرى الأزدي

دراسة نفسية واجتماعية واقتصادية ودينية

By

البروفيسور، الدكتور مصطفى حسين إسماعيل

رئيس قسم اللغة العربية

بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا

الهاتف: +2348037036172

Email: chumrights_islam@yahoo.com

المقدمة:

يدور هذا البحث حول سبعة محاور. أما المحور الأول فعبارة عن المقدمة التي تقدم فصول البحث للقارئ كما تبين النقاط التي تناقش في كل فصل. وأما المحور الثاني فيعرف القارئ بالشنفرى تعريفاً وجيزاً يذكر فيه اسمه ولقبه وكنيته ومولده ونسبه وشاعريته ووفاته. ويتناول المحور الثالث الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية بالتحليل والمناقشة بغية اكتشاف الدور الذي لعبته هذه الظروف في اغتراب الشنفرى وعقدته النفسية. ويقوم المحور الرابع بتعريف الاغتراب وأنواعه في حين يتناول المحور الخامس العقدة النفسية وأنواعها وأسبابها بالمناقشة والتحليل. ويتصدى المحور السادس لاكتشاف مظاهر أثر الاغتراب والعقدة النفسية في أشعار الشنفرى. وفي نهاية المطاف يلخص المحور السابع النتائج التي وصل إليها البحث، ثم يقدم التوصيات للدراسات القادمة مشيراً إلى العناصر التي بحاجة إلى تعميق وتوسيع البحث عنها أو سد الفجوات والثغرات التي تركها هذا البحث.

التعريف بالشنفري

تكاد تجتمع المصادر على أن الشنفري من الأواس بن الحجر بن الهنؤ¹ أو الهنء² أو الهنيء³ بن الأزد بن الغوث. وهو من أم سبية⁴ وهي كما تروى المصادر، أخت لتأبط شرا. ولقب بالشنفري لعظم شفاه⁵. فهو من بين أبناء الحبشيات السود الذين رفضهم آبائهم ولم يعترفوا بهم "لعار ولادتهم". والشنفري إذاً من أغربة العرب الذين شاركوا أمهاتهم في سواد بشرتهم.

ثم إن الشنفري يعد من العدائين الذين "لم تلحقهم الخيل"⁶ والذين يضرب بهم المثل في الجري والعدو، فيقال "أعدى من الشنفري"⁷ على سبيل المثال. وهذا تأبط شراء معلمه الذي لقته دروس الصلعة يرثيه، مشيراً إلى بعض صفاته التي من بينها عدوه⁸:

فلا يبعدن الشنفري وسلاحه الـ * حديد وشـ خطوه متواتر
ويقول ظالم العامري ذاماً ومعاتباً قومه من الأزد على عجزهم عن إدراك الشنفري
والقبض عليه، مع شدة جريهم وخفته⁹:

فما لكم لم تدركوا رجل شنفري * وأنتم خفاف مثل أجنحة الغرب
تعدىـ اديتم حتى إذا ما لحقتم * تباطأ عنكم طالبا وأخو سـقب¹⁰
ويفتخر الشنفري نفسه بسرعة جريه حين يقول:

ألا لا تعدني أن تشكيت خلتي * شفاني بأعلى ذي البريقين عدوتي
ويضرب بالشنفري كذلك، المثل في "الحق والدهاء"¹¹.

ولقد رويت أخبار وأقاصيص وحكايات حول شخصية الشنفري وتصلعه وتمرده. وهي أخبار مضطربة ومتناقضة بعضها بعضاً. وهي كما يصفها بعض مؤرخي الأدب العربي "أقرب إلى أن تكون صورة من الأساطير الشعبية التي كثرت حول أبطال العصر الجاهلي، من أن تكون أخباراً حقيقية"¹². ومع ذلك فإننا بحاجة إلى تتبعها بالشرح والتحليل لما فيها من إضفاء

⁽¹⁾ الأغاني، م 24، ص 9389

⁽²⁾ ديوان الحماسة، ج 1، ص: 187، وخزانة الأدب، ج 2، ص 343

⁽³⁾ ديوان المفضليات، ص: 195

⁽⁴⁾ المصدر نفسه والصفحة

⁽⁵⁾ خزانة الأدب، ج 3، ص: 344

⁽⁶⁾ المصدر نفسه والصفحة

⁽⁷⁾ المصدر نفسه والصفحة

⁽⁸⁾ الأغاني، م 24، ص 8301

⁽⁹⁾ المصدر نفسه والصفحة

⁽¹⁰⁾ المصدر السابق، ص: 8401، سقب: ولد الناقة.

⁽¹¹⁾ ديوان الحماسة، ج 1، ص: 188

⁽¹²⁾ الشعراء الصعاليك، ص: 332، نقلاً عن المفضليات، م 2، (ترجمة).

الضوء على طبيعة البيئة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية القبلية التي عاشها الصعلوك في عصره، والتي كذلك لعبت دورا بارزا في تصلعه وتشكيل نفسيته وعقليته واغترابه وعقدته النفسية. ومن تلك الأخبار أن بني شبابة أسرته وهو صبي، ولما أسرت بنو سلامان رجلا منهم فدوه بالشنفري، فنشأ وشب في بني سلامان¹³ عند رجل منهم، وحدث أن استهانته بنت الرجل وأنكرت أخوته وطلب من أبيها أن يصدقه القول عن قبيلته فأخبره الأب أنه من بني الأواس بن الحجر، فحلف الشنفري أنه سيقول من بني سلامان مائة رجل بما استعبدوه¹⁴. ولعل هذه الحادثة هي إحدى الحوادث التي عملت في توليد عقدة الكراهية والعدوان في الشنفري. ثم جعل يقتل منهم واحدا بعد الآخر حتى قتل تسعة وتسعين رجلا، فاحتالوا عليه وقتلوه، وشاء القدر أن يمر رجل منهم بجمجمته، فعضه رأس الشنفري، ويموت الرجل، فتم العدد مائة¹⁵. وهكذا أحدث هذه الحادثة العقدة النفسية وعقدة كراهية القبيلة في سيكولوجية الشنفري.

وتقول رواية أخرى أن أبا هذه الفتاة التي ازدرت الشنفري عند ما أراد قبلتها وصكت وجهه، همَّ بقتل الشنفري فوجده ينشد هذه الأبيات¹⁶:

ألا هل أتى فتیان قومي جماعة	*	بما لطمت كف الفتاة هجينها
ولو علمت تلك الفتاة مناسبي	*	ونسبتها ظلت تقاصر دونها
أليس ابن خير الأواس وغيرها	*	وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها
إذا ما أروم الود بيني وبينها	*	تؤم بياض الوجه مني

يمينها

ويقال إنه لما سمع الأب هذه الأبيات وسأل من هو وأخبره الشنفري عن أصله، قال لولا أنه يخاف من بني سلامان أن يقتلوه لزوج ابنته. فتعهد الشنفري بقتل مائة رجل منهم إن فعلوا ذلك. فلما قتلوا الرجل ولم يظهر الشنفري أي اهتمام، اتهمته بنت الرجل بأنه لم يوف بعهده فقال في ذلك¹⁷:

كأن قد فلا يغرك مني تمكني	*	سلكت طريقا بين يربغ
فالسرد		
وإني زعيم أن تثور عجاجتي	*	على ذي كساء من سلامان أو

برد

¹³ ديوان الحماسة، ج 1، ص 188، والأغاني، ص: 8291، والمفضليات، ص: 195

¹⁴ المفضليات، ص: 196، والأغاني، م 24، ص 8392

¹⁵ الأغاني، م 24، ص 8302، والمفضليات، ص 197

¹⁶ الأغاني، م 24، ص 3811

¹⁷ المصدر نفسه، ص: 8412

²⁴ (الأغاني، م 24، ص 8401 الخرق بالفتح القفر. القتام: الغبار

3. هنالك لا أرجو حياة تســــــــــــــرني * سمير الليالي مبسلا
بالجرائر²⁵

وهذه الأخبار والقصص التي رويت حول هذه الشخصية لا تخلوا من زيادة وعبث من الرواة، فإن كثيرا منها قد يكون من نسجهم، نظرا إلى أن الشنفرى شخصية أسطورية في تاريخ الأدب العربي. غير أن كثرتها لا تدع مجالا للشك في أن شيئا على نحوها قد حدث ولا سيما أن معظم أمهات الكتب من المصادر الأدبية واللغوية والنقدية العربية قد روتها بشيء من الاتفاق. وعلى ذلك فإن غاية ما يمكن للباحث قوله هو أنها تدل دلالة قوية على سلوك هذه الشخصية من قوة النفس والإرادة، وكل ذلك نتيجة حقه واغترابه عن المجتمع والقبيلة كما تضفي ضوءا على سبب العقدة النفسية التي عاناها. ويشير إلى هذه الحقيقة الدكتور شوقي بقوله: وخيوط الأسطورة واضحة في مقتل الرجل المكمل للمائة، وتلعب هذه الخيوط في أخباره جميعا كما تلعب في أخبار تأبط شرأ رفيقه²⁶.

شاعريته:

اتفقت المراجع والمصادر على أن الشنفرى شاعر جاهلي من الطبقة الثانية الذين يستشهد بأشعارهم في كتب التفسير والحديث واللغة. وله قصائد ومقطوعات شعرية مبعثرة في كتب اللغة والأدب ونقده. وله ديوان مطبوع حوى قصائده ومقطوعاته الشعرية. وله كذلك قصيدة لامية التي اشتهرت بلامية العرب. وتقع في ثمانية وستين بيتا. وتضمنت اللامية صورة حياة المجتمع البدوي القائمة على الحروب، ومجابهة الشدائد والصبر عليها. كما تضمنت صورة للعلاقات القبلية، وما كانت تفرزه من مأس كانت تصيب بعض أفراد القبيلة، كالخلع، والطرء، والنبد، والتنكر للأبوة أو البنوة، وهضم الحقوق، والاستعباد بغير حق²⁷.

الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في عصر الشنفرى:

لتحليل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي عاش فيها الشنفرى جدوى ظاهرة، فمن البديهي أن الفن عامة والأدب خاصة، شعرا كان أو نثرا، لا يخترع في فراغ، بل ينتج في هذه الظروف وأن لها فيه آثارا بيّنة، وأنه مرآة صادقة لتلك البيئات والظروف، فدراستها تمكن الباحث على الفهم والتحليل الصحيح لنتاج الشاعر الشعري.

الظروف الاقتصادية في عصر الشنفرى:

²⁵ (الأغاني، م 24، ص: 8397، والمفضليات، ص: 197 بشيء من اختلاف في بعض الكلمات والشعر والشعراء، ج 1، ص 80 باختلاف يسير في بعض الألفاظ دون المعنى. أم عامر: الضبع سمير الليالي آخرها مبسلا: مسلما.

²⁶ (تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي) ص: 380

²⁷ الهواري، ص: لامية العرب للشنفرى: ص: 10

وأما العوامل الاقتصادية والمادية العامة الداخلية، التي هوت بالشنفري وبغيره إلى الصلعة وعملت في إحداث الاغتراب الحسي والمعنوي والعقدة النفسية فيه وفي غيره من الشعراء في العصر الجاهلي، فأقصد بها تلك التغيرات العميقة الجذور التي اجتازها اقتصاد شمال الجزيرة العربية في حاضرتة وباديته. وأما في حاضرتة، فإن التجارة أدت الثروة الطائلة لبعض رؤساء القبائل وفي مقدمتهم سادة قبيلة قريش. فتكوّن لهم ولأمثالهم من القبائل الأخرى من رؤوس الأموال الشئ الكثير، وامتلكوا الأراضي والضيعات والبساتين وغير ذلك من أنواع المال والعقار، بجانب الإبل والغنم، وسلكوا طرقا عديدة حلالها وحرامها، بما فيها الربا أضعافا مضاعفة، لتنمية أموالهم، فأقرضوا الناس قروضا بالربا الفاحش، حتى اضطر العاجز عن قضاء الدين إلى الفرار إلى الصحراء، لينخرط في سلك الصعاليك وقطاع الطرق. وإذا بقي بين ظهرائي قومه أصبح عبدا لغريمه، وهكذا أصبح الدين بالربا من المشاكل الاجتماعية الاقتصادية الكبرى التي واجهها الاسلام حين ظهر في شبه الجزيرة العربية، وقضى عليها قضاء بأتا.

وفي البادية كذلك، لم تكن الحياة الاقتصادية بمنجى من تلك التغيرات. فبعد أن كانت ثروة القبيلة التي تتكون من الأراضي التي ترعى فيها القبيلة نعمها وغنمها، ومنابع الماء والآبار، وأن النعم والغنم كانت ملكا للعشيرة فإذا ببعض شيوخ القبائل وساداتها، يحمى تلك الأراضي ومنابع الماء لنفسه ولملكه الخاص، ينبح كلبه فيحمي جميع البقع التي وصل إليها صوته، وإذا بهم أو بواحد منهم يملك إبلا "تملاً الأرض"، وإذا بهم أيضا يتمتعون بامتيازات وحقوق لم يكونوا من قبل يتمتعون بها، مثل المرباع وهو ربع الغنيمة التي حصلت عليها القبيلة عقب الغارة أو الحرب، والصفايا، وهو ما يصطفيه ويختاره شيخ القبيلة لنفسه من الغنيمة قبل أن يجري فيها القسمة والتوزيع. والنشيط، وهو ما أصابت القبيلة من المال في طريقها إلى الغزو وقبل لقاء العدو. والفضول، وهو ما لا يقبل القسمة من أموال الغنيمة.

ولقد لخص هذه الامتيازات أحد شعرائهم، وهو عبد الله بن عثمة في بيت واحد، حيث يقول:

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيط والفضول

الظروف الاجتماعية في عصر الشنفري:

أصبح المجتمع الجاهلي الذي كان يتمتع من قبل بوحدة قبلية، منقسمًا قسمين: قسم استأثر بالخيرات التي ينتجها المجتمع، وهو قسم يتكون من شردمة قليلين من أفراد في البادية والحاضرة. والقسم الثاني هم الأكثرية الساحقة يجرون، كما يقولون، "حبالا ليس فيها بعير". وزاد الطين بلة أن ليس في هذا اجملت مع الجاهلي قانون يأخذ من مال

الغني ليرده إلى فقرائهم. فاختل النظام الاجتماعي القبلي، وكثرت أنواع الجرائم والأمراض الاجتماعية بما فيها الفردية المطلقة. وصار كل فرد يبحث عن سبيل يسلكه ليعيش، بعد أن كان يعيش في كنف عشيرته وقبيلته مطمئناً، يغنى بثرائها، ويفتقر بفقرها. فانقضَّ كل على ماتكنه ذاته من مقدرة؛ فأصبح بعض أفراد المجتمع ذو المقدرة والقوة البدنية صعاليك ولصوصاً، يسطون على بني جلدتهم من الأثرياء والأغنياء خصوصاً البخلاء منهم، ليردوا ما نهبوا منهم إلى فقرائهم. ومن كانت له مقدرة شعرية احترف بها وسخرها لمديح الملوك وشيوخ القبائل الذين ازداد نفوذهم وأصبحوا شبه ملوك على القبائل، بعد أن كان شعره مسخراً لخدمة عشيرته وقبيلته. ومن لم يكن شاعراً وليس له قوة بدنية أصبح متسولاً، يسأل الناس إلحافاً.

وفي مثل هذه الأوضاع والظروف الاجتماعية – الاقتصادية الصعبة، اعتورت الهموم والغوم نفوس وأذهان عديد من أفراد السواد الأعظم. وهي أزمة ومحنة لم يسلم منها أحد. ولقد عبر الشعراء الجاهليون عن هذه الهموم في أشعارهم، ومن ذلك قول الشنفرى:

والف هموم ما تزال تعوده عياداً، كحى الربع أو هي أثقل

إذا وردت أصدرتها، ثم إنها تثوب، فتأتي من تُحيي ومن عل

نعم، لقد بلغ من فساد الأمور واختلال النظام الاجتماعي مبلغاً حتى، حسب تعبير الأعشى، "قد صار فيه رؤوس الناس أذناباً".

وهكذا تظاهرت هذه الظروف والمؤثرات الاجتماعية العامة الداخلية وتضافرت في إيجاد ظاهرة الصلابة والاعترا ب والعقدة النفسية في الشنفرى وفي غيره في هذا العصر.

الظروف الدينية في عصر الشنفرى:

وأما التطور الديني فيلاحظ كمظهر له كثرة وازدياد الرفض لعبادة الأصنام والأوثان، بل وشتمها ولعنها، لازدياد وعيهم أنها لا تضر ولا تنفع، ولقد لعب دوراً بارزاً في هذه الناحية اليهودية والنصرانية، والدعوة إلى الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فقد كان لليهود والنصرانية وجود ملموس في بعض القبائل في الجزيرة العربية وكان أصحابهما يقومون بالتبشير فيها حتى وجدت بعض القبائل تنصرت أو تهودت.⁽²⁸⁾ ووجد كذلك رجال نابهن ارتفعت عقولهم عن عبادة الأوثان، أو النصرانية أو اليهودية وغيرها من الديانات الموجودة يومئذ، فدعوا إلى الرجوع إلى الحنيفية السمحة، دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ونبذ

²⁸ - راجع فيما يتعلق بالحياة الدينية في العصر الجاهلي، فجر الإسلام، ص: 23-29، وبلوغ الأرب للآلوسي، ج/62، ص:

194-197، وص: 240-241.

العادات والتقاليد العقيمة المستقبة، ودعوا إلى عبادة الله وحده وهجروا هذه العادات والتقاليد، مثل وأد البنات وقتل الأولاد، والخمر والميسر وما إليها.

الظروف السياسية في عصر الشنفرى:

وأما الظروف السياسية فإنه من مظاهر ما أحرزوه في هذه الناحية من تقدم وتطور مما قد يعد براعم لعناصر الحكومة المركزية، ما وجد من بعض الأحلاف في مكة، مغزاها منع الظلم وحماية الأمن والملكية الخاصة، كحلف الفضول الذي تصدى لمنع العدوان والظلم ولرد المظالم، وتقدم من الأفراد من تصدى لتنفيذ ذلك⁽²⁹⁾. كما وجد من الأفراد من تصدى لمنع الاعتداء والجور في الأسواق⁽³⁰⁾ وكما أنه قد يعد مظهرا آخر لتطلع المجتمع إلى نوع من الحكومة المركزية أن بعضا من هؤلاء التجار الأثرياء الذين جابوا البلاد القريبة والناحية، حاولوا فرض أنفسهم كملوك على قبائلهم لإيجاد حكومة ذات سلطة مركزية كالتي عاينوا في رحلاتهم. ولقد لقيت محاولتهم تلك معارضة صارمة من قومهم بحجة أن العرب لا تملك⁽³¹⁾. وفي الحقيقة هناك عبارة في بعض المصادر تدل على أن هناك أرضا محكومة وأراضي غير محكومة "يعز فيها من بز"⁽³²⁾.

والجدير بالذكر بهذا الصدد هو أن هذه المحاولات لم تصل إلى حد أو مستوى من الحكومة المركزية التي تقيم العدل والأمن والسلام بصفة شاملة.

تعريف الاغتراب

الاغتراب الاجتماعي هو شعور بالانفصال عن المجتمع أو عن الذات لأسباب منها التغيرات الاجتماعية السريعة وفقدان القيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية السطحية والضغط الاقتصادية والاضطرابات النفسية.

أسباب الاغتراب الاجتماعي: منها التغيرات الاجتماعية السريعة التي تؤدي إلى عدم الاستقرار وتفكك الروابط الاجتماعية مما يجعل الأفراد يشعرون بالغربة والضياع، وفقدان القيم والمعايير الذي يؤدي إلى شعور الأفراد بعدم الانتماء وفقدان الإحساس بالهدف المشترك مما يؤدي إلى الاغتراب والعقدة النفسية، والضغط الاقتصادية مثل الفقر والبطالة، التي تؤدي إلى الشعور بالعجز والإحباط، وبالتالي إلى الاغتراب الاجتماعي، والاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب والقلق التي تجعل الأفراد ينعزلون عن المجتمع ويشعرون بالاغتراب.

الاغتراب الاقتصادي والمادي:

29 - قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، ص: 158.

30 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 131.

31 - المرجع السابق، ص: 153.

32 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 140.

هو حالة انفصال أو انفصام يشعر بها العامل عن عمله ومنتجاته وعن زملائه وعن ذاته في ظل نظام الإنتاج الرأسمالي.

وبعبارة أخرى، هو عزل أفراد المجتمع عما يمتلكون من الغنم والنعم ومنابع الماء التي كان يتمتع بها عندما كان ذلك ملكا مشاعا للشعيرة والقبيلة.

الاغتراب النفسي

وبعبارة أخرى، الاغتراب النفسي حالة نفسية يعاني فيها الفرد من شعور عميق بالبعد عن ذاته، أو عن الآخرين، أو عن المجتمع ككل. وقد يتجلى هذا الشعور في عدة مظاهر منها: الشعور بالوحدة والعزلة، وفقدان الانتماء، وفقدان المعنى، وعدم الثقة، والشعور بالقلق والتوتر، وصعوبة في التكيف والتمرد.

أسباب الاغتراب النفسي عند الشنفري:

فاغتراب الشنفري ناتج عن عوامل عدة، منها: كونه من أغربة العرب الذين سرى إليهم سواد البشرية من أمهاتهم الإماء، والذين لا يعترف أبأوهم بهم إلا بعد أن أتوا بأعمال جلييلة كما هو الحال عند عنتره بن شداد العبسي. أضف إلى ذلك تلك التغييرات المادية الاقتصادية التي طرأت على المجتمع الجاهلي والتي أدت إلى انعزال الأغلبية الساحقة عن أساس حياتهم المادية من الإبل والمواشي، وتركز الأموال في أيدي الأقلية.

تعريف العقدة النفسية

للعقدة النفسية تعريفات كثيرة، منها أنها أنماط حسية وفكرية "معروفة غير سوية، تؤدي إلى سلوك غير طبيعي، وتكون عادة عميقة الجذور في نفس الشخص المصاب بها، وتؤثر على كيفية رؤية الشخص لنفسه، وكيف يتصرف تجاه الآخرين، ويمكن أن تكون لها تأثير كبير على حياة ذلك الشخص".⁽³³⁾

ومنها كذلك أنها: "حالة غير شعورية، قد لا يظن الفرد المصاب بها إلى وجودها، ولا يعرف منشأها، وإنما يشعر بآثارها، كالقلق والشكوك، كما أنها تضغط على الفرد، في محاولة للظهور...".⁽³⁴⁾

ومن تلك التعريفات أن العقدة النفسية عبارة عن مشاعر وأفكار سلسلة عميقة الجذور تتشكل نتيجة لتجارب سلبية سابقة، وتؤثر على سلوك الفرد ومواقفه تجاه نفسه والآخرين. وتتشكل العقدة النفسية عادة في مرحلة الطفولة المبكرة نتيجة لظروف قاسية أو صدمات نفسية وقد تستمر تأثيراتها.

³³ - <https://altibbi.com>

³⁴ - كتب العقد النفسية <https://www.noor-book.com>

أسباب العقدة النفسية:

- (1) التجارب السلبية في مرحلة الطفولة، مثل الحرمان العاطفي، والقسوة في التربية، والتعرض للإيذاء الجسدي أو النفسي، أو التعرض لصدمات نفسية.
- (2) الصدمات النفسية؛ مثل الحوادث المؤلمة، وفقدان الأحباب، أو التعرض للعنف.
- (3) الخوف والتخويف؛ مثل تهديد الطفل بشخصيات معينة أو مواقف معينة لجعله يطيع.
- (4) الحرمان العاطفي؛ مثل عدم حصول الطفل على الحب والاهتمام الكافيين من الأهل.
- (5) التربية القاسية؛ مثل الضرب والإهانة والتوبيخ المستمر.
- (6) الخوف من الفشل؛ مثل الخوف من عدم تحقيق النجاح أو الخوف من التعرض للنقد.

ويلاحظ أن جميع هذه الشروط كائنة في الشنفري كما هو واضح في شخصيته وأشعاره.

أقسام العقدة النفسية:

عقدة الاستعلاء:

هي إحدى الحيل النفسية التي يتعارض فيها شعور الشخص بالاستعلاء مع شعوره بالدونية أو يختص وراءه.⁽³⁵⁾

عقدة النقص:

مركب النقص أو عقدة النقص أو عقدة الدونية، هو شعور مزمن بالنقص وعدم الكفاءة، يؤثر على سلوك الشخص وتفاعله مع الآخرين. والشخص الذي يعاني من مركب النقص يشعر بأنه أقل من الآخرين، مما قد يؤدي إلى سلوكيات تعويضية أو انسحابية.⁽³⁶⁾

وتجب الإشارة إلى أن جميع عناصر تعريفات العقدة النفسية بما في ذلك من عقدة التفوق وعقدة النقص وغير ذلك من عناصرها، والاعترا ب وأنواعه وأقسامه الحسية والمعنوية بادية في شخصية الشنفري وأشعاره.

³⁵ - ويكيبيديا.

³⁶ - Ai Overview.

وتجب الإشارة كذلك إلى أن الفهم والوقوف التام على ما قدمته هذه العلوم من التجديدات والتعريفات جديدة بأن تمهد الطريق إلى الفهم الصحيح لشخصية الشنفرى وإنتاجه الشعري ونفسيته وعقدته النفسية واغترابه، أضف إلى ذلك أنها تكشف وتوضح العلاقة التي بينها وبين الفن عامة والأدب خاصة.

وإن لتحديد هذه المصطلحات والوقوف على معانيها وعلاقتها بالأدب شعرا كان أو نثرا فوائد، منها: أن جميع عناصرها بادية في شخصية الشنفرى ونتاجه الشعري. زد على ذلك أنها ستضفي ضوءا كاشفا يؤدي إلى فهم وتحليل صحيح لأشعار الشاعر محل الدراسة. من أسباب عقدة الشنفرى النفسية ما عاناه من الإهانة على يد بنت سيده التي لطمته وأكرت أخوته إياها. أضف إلى ذلك أن قبيلته – كماروي - رهنه وأمه وأخاه ولم يفدوهم. فالألم الذي أشد الألم. ويروى كذلك، أن قبيلة بني شباية أسرته وهو صبي، ولما أسرت بنو سلامان رجلا منهم فدوه بالشنفرى. فنشأ وشب في بني سلامان، فحفظ لذلك على قبيلته. فقال فيهم هذه الأبيات:

هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلة أمشي خلال الدار كالأسد الورد

مظاهر أثر الاغتراب والعقدة النفسية في شعر الشنفرى الأزدي:

حمل الشنفرى عقدة النقص والدونية ومركب النقص على المبالغة في الاتصاف والتمثل بتلك القيم الاجتماعية والمثل العليا التي تجمعها عندهم كلمة المروءة والتي تعنى عندهم أيضا الفضائل من شجاعة وكرم وجود وعفة ونجدة وإغاثة الملهوف ووفاء وحماية الجار وحسن الجوار والأخذ بالثأر، وتحمل المشقة كما حمله ذلك على نفي أصدادها عن نفسه أشد النفي.

وفي لاميته التي إشتهرت بلامية العرب أعلن الشنفرى هجرانه وانسحابه من المجتمع الذي أهانه وأهدر إنسانيته وعبد مبينا انسحابه إلى مجتمع الحيوانات في الصحراء كالأسد والذئب والنمر والضياء وغير ذلك من الوحوش الضاربة التي اعتبرها خيرا من بني جلدته، والتي تكتم السر، وتحمي الجار ولا تخذله، وتتمتع بالبسالة والشجاعة والإباء. وهذه بداية اغتراب الشنفرى. ولقد أبدى الشنفرى سلوكيات تعريضية لإخفاء شعوره بالدونية مثل عدوانه على القبيلة وانتقاده المجتمع وسعيه المفرط للإتيان بالأعاجيب واجتنابه أصداد تلك المثل العليا والقيم الاجتماعية.

ولقد أصاب الشنفرى عدد كبير من فروع العقدة النفسية وما في ذلك عقدة الكراهية وعقدة العدوان وعقدة الانسحاب من الاجتماعية وعقدة الدونية أو عقدة النقص وعقدة الفقر وعقدة العنصرية.

كما ظهرت في أشعاره أعراض هذه العقدة النفسية. ففي لاميته ظهرت كل هذه العقد وأعراضها، ففي الهجران والانعزال والانسحاب أو الاغتراب من المجتمع قال:

أَقْبِسُوا بَنِي أُمِّي صَدُورَ مَطِيكُم فـإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُم لَأُمِيلُ
فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتِ وَاللَّيْلِ مَقْمَرُ وَشَدَّتْ لَطِيَّاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الْأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا، لِمَنْ خَافَ الْقَلَى مَتْعَزِلُ
وَلَا أَشَدَّ إِظْهَارًا لَوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْعَقْدِ، أَيِ عَقْدَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْعَنْصَرِيَّةِ مِنْ قَوْلِ السَّلِيكِ بْنِ
السَّلَكَةِ:

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كَـ____ لَ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً
وَسَطَ الرِّحَالَ
يَشُـ____ قَ عَلِيٍّ أَنْ يَلْقَيْنِ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَنِ
تَخْلَصُنَّ مِنْ مَالِي³⁷
وَفِي الْإِبَاءِ قَالَ الشَّنْفَرِيُّ:
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يَلْفَ مَشْرَبُ يَعْـ____ بِهْ إِلَّا
لَدِي وَمَأْكَلُ
وَلَكُنْ نَفْسًا مَرَّةً لَا تَقِيمُ بِي عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثِمًا
أَتَحُولُ³⁸
وَفِي الصَّبْرِ عَلَ الْجُوعِ قَالَ:
أَدِيمُ مَطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرَبَ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا
فَأَذْهَلُ
وَأُسْتَفْ تَرَبُّ الْأَرْضِ كِي لَا يَرَى لَهُ عَلِيٍّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤُ
مَتَطَوَّلُ

* * *

وَأَطْوَى عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خِيَوطُـ____ مَارِي تَغَارُ
وَتَقْتُلُ
وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُ تَهَادَاهُ التَّنْـ____ائِفُ
أُطْحَلُ³⁹
وَفِي الْهَمُومِ قَالَ:
وَالْفَ هـُـ____ مَا تَزَالُ تَعـُودُهُ عِيَادَا كَحْمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ
أَثْقَلُ

³⁷ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، ص: 236.

³⁸ لامية العرب للشنفرى، ص: 65-66.

³⁹ المرجع السابق، ص: 66.

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا
تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحِيْتُ وَمِنْ

وفى الحلم قوله:

ولا تزدهي الأجهال حلمي، ولا أرى سؤولا بأعقاب الأقاويل أنـمل⁴¹

فحمل الشنفرى شعوره بمركب النقص أو شعوره بالدونية على التمثل بأعلى صور المروءة من كرم وجود وشجاعة ونجدة وعفة وإباء وإقدام والصبر على الشدائد، ونفى عن نفسه أصداد هذه الخصال الحسنة أشد النفي، فنفى البخل والطمع والجبن والخيانة والغدر والذلة والهوان والجزع عند الجوع والعطش والحيران ولزوم الدرا وزيارة النساء والضعف والخمول والكسل وقصور الهمة والخسة. وكذلك حمّله على الإتيان بالأعاجيب فنافس غيره من الأبناء الأحرار وأتى بقصيدته اللامية التي اشتهرت بلامية العرب والتي تعدل كثيرا من المعلقات المشهورة في عصره. واشتملت على خير ما يشتمل عليه تلك المعلقات من العناصر الشكلية والمضمونية.

وقصارى القول، إن الشنفرى عبر في أشعاره عن المغامرات، والمراقب، والتوعد والتهديد، ووصف الأسلحة والرفاق من الصعاليك، والفرار وسرعة العدو، والغزوات على الخيل والرجل، والدوافع الاجتماعية التي دفعت الصعاليك إلى الثورة التي أشعلوها في وجه مجتمعاتهم.

فكانت النتيجة أن تولد عند الشنفرى نوع عقدة العداء والكراهية والعدوان على القبيلة. وهكذا أدى مركب النقص في الشنفرى إلى سلوك تعويضي وانسحاب من المجتمع كما أدى إلى التنافسية المفرطة والمبالغة في إظهار الثقة بالنفس والسعي المفرط إلى تحقيق الاستعلاء والذات.

⁴⁰ نفس المرجع، ص: 40.

⁽⁴¹⁾ نفس المرجع، ص: 41.

الخاتمة:

أثبتت المصادر والمراجع الأدبية واللغوية والنقدية على أن الشنفرى شاعر من شعراء الطبقة الثانية، وأنه صعلوك من صعاليك العصر الجاهلي، ومن أغربة العرب الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم. ويضرب به المثل في العدو والحذق. وقد رويت حكايات وأقاصيص حول شخصية الشنفرى التي تدل على أنه شخصية أسطورية. وأسفرت الدراسة على أن ظروفًا اقتصادية واجتماعية ودينية وسياسية تضافرت وعملت في تصعلك الشنفرى واغترابه وعقدته النفسية، وقد عبر عن ذلك في أشعاره وقصائده أصدق تعبير. واكتشف البحث أن الاغتراب الاجتماعي والاقتصادي والعقدة النفسية حملا الشنفرى على إظهار سلوك تعويضي ظهر في شكل النهوض على الإتيان بالأعاجيب والتمثل بالمثل العليا والقيم الاجتماعية التي تواضع عليها المجتمع الجاهلي من جود وكرم ونجدة وإباء واعتزاز بالنفس والشجاعة والصبر على الجوع والمشقة والشد على الأقدام، كما نفى عن نفسه أضداد هذه القيم الاجتماعية أشد النفي. فنفي الشح والبخل وذلة النفس والجبن والجزع والاستكانة والهوان والضعف. هذا، وينصح البحث الباحثين بتعميق وتوسيع البحث في المحاور التي ترك البحث فيها فجوة أو ثغرة، لسدها وتوسيع البحث فيها.

الفهارس والمراجع: